

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الأطهار الطيبين ، أفضل الصلاة وأتم التسليم .

الإمام الأكبر عبد الحلیم محمود شیخ الأزهر الأسبق رحمته الله لم یکن یعتمد فی کتاباته علی مجرد البحث الأكادیمی فی اسلامیاته ومؤلفاته عن السادة الصوفية - رضوان الله علیهم - ولكنه كان ، بالإضافة إلى ذلك ، مطبّقاً للفكرة التي يؤمن بها ، ومن كان كذلك یصل كلامه إلى القلب مباشرة ، ويتأثر به القارئ ، ولعل دراسة متأنية لما كتبه عن الشخصیات الصوفية توضح أنه كان منفعلاً بها ومتفاعلاً معها ، ویظهر ذلك بوضوح فی كتابه «الحمد لله.. هذه حیاتی» فهو لم یکن مجرد سرد تاریخى أو ذاتی ، بل هو أيضاً استخراج لكثیر من الأسس والمبادئ التي آمن بها وطبّقها علی نفسه قبل أن یطلب من الآخرين الاقتناع بها والعمل علی تطبيقها .

لقد درس الإمام الأكبر عبد الحلیم محمود رحمته الله مذهب النصّیین ، ودرس علاقة اليقین بالعقل ، ودرس المذاهب العقلية سواء فی الجوّ الإسلامی أو الغربی ، وعن هذه الدراسات جميعاً ، مع دراسة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس ، یقول الإمام عبد الحلیم محمود رحمته الله :

« وانتهيت من دراسة الدكتوراه وأنا أشعر شعوراً واضحاً بالمنهج المسلم فى الحياة وهو المنهج الأتباع، إن ابن مسعود رضي الله عنه يقول عن هذا المنهج كلمة موجزة كأنها إعجاز من الإعجاز: « أتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم ». . . لقد كُفينا، وعلينا - إذن - الأتباع ، وبعد أن قر هذا المنهج فى شعورى، واستيقنته نفسى، أخذت أدعو إليه: كاتباً ومُحاضرًا ومدرسًا، ثم أخرجت فيه كتابًا خاصًا هو «الإسلام والعقل»، وكل ما كتبتة عن التصوف والشخصيات الصوفية فإنما يسير فى فلك هذا المنهج «منهج الأتباع» ا هـ.

لقد اختبر الإمام الأكبر عبد الحلیم محمود شيخ الإسلام الطرق الكلامية والنصیة، فلم يجد الطريق الصحیح إلا فى العبودية والأتباع.

فكان من أمر الشيخ عبد الحلیم محمود رضي الله عنه أن أصبح هو الفضیل بن عیاض وهو الإمام الغزالی وهو الشيخ الأكبر محمى الدين ابن عربی، حتى وصل به الأمر أن امتزج امتزاجًا كاملاً بالمدرسة الشاذلية فكان قطبها ، ولُقِّبَ بأبى الحسن الشاذلى القرن العشرين ، ولُقِّبَ أيضاً بأبى التصوف فى العصر الراهن ، فلقد كان إليه رضي الله عنه المرجع والفُتيا وريادة الفكر الإسلامى والتصوف فى العصر الحديث.

لقد كتب الإمام عبد الحلیم محمود رضي الله عنه هذا الكتاب عن الإمام الفضیل بن عیاض رضي الله عنه مبینًا الموقف الذى يجب أن يتخذه كل صوفى وكل داعية إلى الله تعالى، فهذا ليس حديثًا عن سيرة ذاتية

للإمام الجليل بقدر ما هو دراسة علمية وافية للطريق إلى الله . . في جانب من جوانب حياة صوفى من الرعيل الأول، من الذين أحبوا أن يَفْتَنُوا فى الله سبحانه وتعالى، وأن يقوموا به، وأن يتخلقوا بأخلاقه . . أن تفنى شخصيتهم فى إرادته تعالى، فى حبه، فى مرضاته . . أن يسترسلوا معه كما أحب، لا يكون لهم هوى فى غير شريعته، ولا تكون لهم إرادة فى غير ما أمر . . أن يذوبوا فى محيط الإطلاق .

ولا أملك سوى أن أصرع إلى الله أن يهينى لهذا التراث الإسلامى فى كل عصر من يوضحه، ويجدده، ويثريه، ويحييه . . بالبحث، وبالسلوك وبالعلم؛ حتى يكون فى العالم الإسلامى - فى كل وقت وزمن - من يمثلون قمم العلم ومكارم الأخلاق . هذا . . وبالله التوفيق .

أ. د / منيع عبد الحلیم محمود

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة الأزهر